الهجرة الثانية إلى الحبشة

لم تتغير الأحوال ولم يطرأ ما يساعد على البقاء لأصحاب رسول الله ﷺ، بل تفاقمت الأمور، وتعقدت أكثر من ذي قبل، بأسباب مختلفة. أن الأخبار تواردت بحسن استقبال النجاشي للمهاجرين، وهذا عامل جديد رفع درجة التوتر لدى المشركين مما زاد أحقادهم، وضاعف حنقهم لأنهم اعتبروا ما حدث في الحبشة من حسن استقبال النجاشي للمهاجرين تطوراً ذا أبعاد خطيرة. وفعلاً هو نجاح كبير للعصبة المؤمنة رغم أنف المشركين، ولكي يخفوا فشلهم الذي يلاحقهم استخدموا وسيلة التعذيب والإيذاء ومعاقبة المؤمنين، وتلك هي الوسيلة المفضلة لأمثال هؤلاء في كل عصر من العصور. لأنهم لا يحسنون غير القمع وإبادة الخصوم بالقوة وحدها.

ونضيف سبباً آخر إلى ما ذكرناه ألا وهو انتشار الإسلام في مكة نفسها وهو نجاح أغضب المشركين لأنه تحد ماثل أمامهم دوماً.

ولهذا بدأت مرحلة جديدة تحمل أهوالاً وشدائد، الهدف منها صرف المؤمنين عن وجهتهم والفتنة عن الدين الإسلامي، وتحطيم معنوياتهم، ومحاولة إرجاعهم إلى الوثنية البغيضة، في هذه المرة يبذل المشركون جهوداً جبارة للحيلولة بين المهاجرين وبين هجرتهم حتى لا يفلت منهم أحد كما رأينا في الهجرة الأولى وخرجوا سالمين إلى الحبشة، ويروي لنا ابن سعد عن أم سلمة رضي الله عنها وغيرها تلك المأساة والامتحان الذي تعرض له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قالوا: «لما قدم أصحاب النبي ﷺ مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت خرجتهم الآخرة أعظمها مشقة، ولقوا من قريش تعنيتاً شديداً، ونالوهم بالأذى، واشتد عليهم ما بلغهم عن

النجاشي من حسن جواره لهم، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أنتم مهاجرون إلى الله وإليّ، لكم هاتان الهجرتان جميعاً، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله»[1]. إنه ابتلاء عظيم واختبار شديد لقوم عظماء أجلاء اختارهم الله عز شأنه لصحبة خير البرية أجمعين خاتم النبيين والمرسلين، هجرة تتلوها هجرة، اخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، إنها تربية ربانية تتولاهم عناية رب العالمين فلا يضيعون أبداً، وتزكية لنفوسهم حتى يتعودوا على تحمل المشقات والسير على الدروب الوعرة التي لا تظهر فيها المعالم، ولكي يتحملوا على ركوب الصعاب عند الضرورة بنفس راضية مطمئنة صابرة غير منزعجة لا تضيق ذرعاً بما تلاقيه من صعوبات في الحياة، ولا تتضجر بسبب ما يعرقل مسيرتها أو يصادف طريقها.

كم كانوا يودون لو بقوا مع رسول الله ﷺ، وتلاحظ هذا الأمر من عثمان بن عفان رضي الله عنه ذي النورين حين أبدى رغبة في البقاء مع رسول الله ﷺ. ولكن رسول الله ﷺ أخبره بأن لأصحابه هجرتين وبأنهم مهاجرون إلى الله وإليه، فاستقبل عثمان هذا الأمر بكل رضى وهدوء نفس فقال: «فحسبنا يا رسول الله».

عدد المهاجرين في الهجرة الثانية:

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن من ثمانين رجلاً»[2].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الأول، ص ٢٠٧. هذا الحديث ضعيف من هذا الوجه الذي جاء في رواية ابن سعد. ولكن معظم الفقرات في الحديث وردت في روايات صحيحة كما سنجد في الفصول الآتية بإذن الله تعالى، علماً بأن هذا جزء من حديث طويل اكتفيناه لأجل مناسبته بالموضوع.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء الأول، ص ٤٦١، انظر البداية والنهاية لابن كثير، قال ابن حجر في الفتح: إسناده حسن جزء ١٥، ص ٣٢.

أما الطبري فقال: «وخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة وكانوا بها، ثم عدَّد بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً»[1].

أما ابن هشام فقال: «فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاث وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه»[2].

أما ابن سعد فقال: «وكان عدد من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً، ومن النساء إحدى عشر امرأة قرشية وسبع غرائب، فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي بأحسن جار»[3]. إن عدد الرجال في الروايات السابقة يتراوح ما بين ثمانين وهي رواية عبدالله بن مسعود فإنه ذكر نحو من ثمانين فهذا لا مفهوم له وإنما هي صيغة للتقريب فقط ولكنه لم يحدد بصفة جازمة وما بين اثنين وثمانين أو ثلاثة وثمانين فكلها متقاربة كما ترى، وليس بين الروايات تفاوت يذكر والشك في عمار بن ياسر[4] فقط.

أما رواية عبدالله بن مسعود التقريبية فإنها لا تنفي زيادة رجلين أو ثلاثة كما أنها لا تنفي نقصان العدد عن ثمانين، إذاً فلا تناف بين هذه الرواية والروايات الأخرى.

أما عدد النساء:

فقد ذكرت الرواية في الطبقات الكبرى لابن سعد بأن المهاجرات ثماني

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري، الجزء الأول، ص ٥٤٧، ط. الأولى عام ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، الجزء الأول، ص ٣٥٧، ط. الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الأول، ص ٢٠٧.

(٤) عمار بن ياسر: قال القرطبي المالكي في الاستيعاب في أسماء الصحابة كان عمار وأمه سمية ممن عذب في الله وهاجر عمار إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين ثم شهد بدراً والمشاهد كلها، وأبلى ببدر بلاءاً حسناً، رحم الله عمار بن ياسر لقد أوذي في سبيل الله في حياته كلها حتى استشهد.

عشرة امرأة، ولقد أيد الحلبي على أن عدد النساء المهاجرات إلى الحبشة ثماني عشرة امرأة فيقول: «لا يخفي أنه لما وقع ما ذكر انطلق إلى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأة»[1]. أما الصّغار فكان حالهم تبعاً لوالديهم، ومن هنا اكتفت معظم كتب السير ذكر عدد الكبار فقط ولكن ابن هشام عند سرده لأسماء المهاجرين رجالاً ونساء، فإنه ذكر عدد الرجال الذين هاجروا بما فيهم صغار السن فعدد أسماءهم فبلغت تلك الأسماء مائة رجل تقريباً، ومن هنا يظهر أنه لم يفرق في التعداد بين الصغار والكبار، ويكتفي غالباً بذكر اسم الوالد الذي هو رب الأسرة ثم يذكر بعد ذلك من هاجر معه من أبنائه أو بناته بدون ذكر سن الأولاد، وبعد التعداد والتتبع اتضح أن من بين العدد الإجمالي للذكور عشرين ابناً على أقل تقدير هاجروا مع عائلاتهم إلى أرض الحبشة.

لأن عدد الرجال المتفق عليه اثنان وثمانون، وعدد أسماء الذكور التي أوردها وسردها ابن هشام رحمه الله تعالى مائة وثلاثة رجال أما أسماء النساء اللواتي ذكرهن ابن هشام فنحو عشرون اسماً بين امرأة كبيرة وبنت صغيرة ويتضح أن بنتين صغيرتين هاجرتا مع عوائلهما على أقل تقدير.

فصار العدد الإجمالي للمهاجرين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً مائة وثلاث وعشرون شخصاً تقريباً.

وليس هذا العدد الذي ذكرناه محل اتفاق بين المؤرخين وأهل السير ولكن الفارق ضئيل جداً، والاختلاف في عدد الصغار غير وارد بصفة عامة بعدم الاهتمام الكبير، لأن التركيز كان منصباً على المهاجرين الذين هاجروا بإرادتهم ورغبتهم وتخطيطهم والذين تعرضوا للإيذاء الكبير، والابتلاءات الشديدة وهم الذين اختاروا هذا الدين واتبعوا رسول الله ﷺ.

---

(١) علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، المجلد الثاني، ص ٢٧، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

وإنما الصغار فهم تبع لأسرهم لأنهم غير مميزين ولا مكلفين، والعدد الذي سبق ذكره هو العدد الذي هاجر من مكة إلى الحبشة مباشرة فراراً بدينهم إلى الله جل شأنه. وهم الذين اشتهروا بالهجرة إلى الحبشة لشدة ما عانوه وذاقوه في بطن مكة، ولكنهم لم يكونوا وحدهم هم المهاجرون بل غيرهم هاجر إلى الحبشة وإن كان يوجد اختلاف في النوعية وسيأتي الحديث عن بقية المهاجرين في المبحث التالي:

من هاجر من اليمن إلى أرض الحبشة:

لقد ورد ذكر الأشعريين بقيادة أبي موسى الأشعري في كتب السير والتراجم وكتب التفسير والحديث، وذكرت بعض المصادر بأن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية ويحدث لبس في هذا أحياناً ظناً من البعض بأنهم خرجوا من مكة إلى الحبشة مباشرة. فعلى سبيل المثال، ذكر ابن هشام في السيرة النبوية العطرة اسم أبي موسى الأشعري أثناء تعداد أسماء المهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية. ومن هذا المنطلق يمكن أن يفهم أنه هاجر من مكة مباشرة. لأن وضع اسمه ضمن قائمة طويلة ممن هاجروا من مكة يوحي بذلك، واعتقد أن قدوم الأشعريين بقيادة أبي موسى رضي الله عنه، ومعه طائفة كبيرة من قومه مع جعفر بن أبي طالب وباقي الصحابة أيام فتح خيبر هو السبب الأساسي لهذا اللبس الذي جعل ذكر اسمه مع مهاجرة الحبشة من مكة.

ولقد روي لنا ابن سعد رواية تحاول جمع الآراء حول هجرة الأشعريين والتي تبدو غير منسجمة بعضها ببعض فقال: «عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي جهم قال: ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حلف في قريش وقد كان أسلم بمكة قديماً، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة فوافقوا رسول الله ﷺ بخيبر، فقالوا: قدم أبو موسى مع أهل السفينتين وكان الأمر على ما ذكرنا أنه وافق قدومه

قدومهم، ولم يذكر موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وأبو معشر فيمن هاجروا إلى أرض الحبشة»[1].

هذه الرواية لم تنفِ وصول الأشعريين إلى أرض الحبشة كما أنّها لم تثبته بل الذي يفهم من سياق الرواية أنها تنفي هجرة أبي موسى الأشعري ومن معه من مكة المكرمة إلى أرض الحبشة مباشرة، والدليل على هذا قول أبي بكر بن عبدالله صاحب الرواية «وليس له حلف في قريش».

وقوله قبل ذلك جملة أخرى توضح هدف الراوي: «ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة» هاتان الجملتان تفسر لنا الغرض من الرواية التاريخية لأن ذكر الجملة الأخيرة التي تنفي هجرته يقصد منها نفي الهجرة من مكة إلى الحبشة،لأن نفي وجود حلف بين أبي موسى وبين قريش يؤكد هذا المعنى، ولا تحمل معنى آخر غير هذا لأنه من المعلوم أن الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة إما أنهم قرشيون أو بينهم وبين قريش حلف، فأبو موسى لا ينطبق عليه ما ذكر، أي ليس قرشياً وليس حليفاً لها، وهذا الذي تدور حوله الرواية وإننا نجد فقرة أخرى أيضاً تتحدث عن إسلام أبي موسى الأشعري رحمه الله وذهابه إلى قومه، وعدم رجوعه إلى مكة مرة أخرى قبل هجرته إلى المدينة وتلك إشارة واضحة إلى أنه لم يعد إلى مكة فكيف يكون ضمن المهاجرين منها إلى أرض الحبشة، وعلى هذا تدور الرواية حول المهاجرين الذين خرجوا من مكة إلى الحبشة، الأشعريون لم يكونوا ضمن تلك القافلة، وليس معنى ذلك أنهم لم يهاجروا إلى الحبشة فليس هناك تلازم بين الأمرين كما سنذكر إن شاء الله تعالى روايات كثيرة تشرح الأمر وتزيل اللبس، ومن تلك الروايات واحدة يروي لنا ابن سعد رحمه الله تعالى: «عن أبي بردة عن أبي موسى قال: هاجرنا من اليمن في بضعة وخمسين رجلاً من قومي، ونحن ثلاثة أخوة: أبو موسى، وأبو رهم، وأبو بردة، فأخرجتهم سفينتهم إلى النجاشي وعنده جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم، فأقبلوا جميعاً في سفينة إلى النبي ﷺ حين افتتح خيبر قال: فما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الرابع، ص ١٠٥ - ١٠٦.

إلا شهد معه إلا أصحاب السفينة جعفر وأصحابه فقسم لهم معهم، وقال: لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ»[1].

لا شك أن هذه الرواية شرحت وفصلت وذكرت أنهم هاجروا إلى الحبشة لأن سفينتهم أخرجتهم إلى النجاشي، ومكثوا في الحبشة. ثم سافروا مع من بقوا في الحبشة بقيادة جعفر في السنة السابعة، وهذه الرواية توافق رواية البخاري إلى حد كبير، ولكن ما رواه البخاري أعطتنا معلومات قيمة أخرى تستقيم معها القضية فلا تحتاج إلى مزيد من الأدلة ولكي نطمئن أكثر فإني أورد رواية البخاري: «عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فقال النبي ﷺ لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»[2].

من الواضح أن هجرة الأشعريين كانت من اليمن بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وأن تلك الهجرة خططت لتتم عن طريق البحر من اليمن إلى المدينة المنورة حيث ركبوا سفينة متوجهين إلى المدينة، ولكن رياحاً قوية غيرت وجهة السفينة حتى أوصلتها للشواطىء الغربية للبحر الأحمر، لم تذكر الرواية تاريخ بداية هجرتهم من اليمن وكم أقاموا في الحبشة، وكل ما في الأمر تبين أنهم أقاموا فترة معينة في الحبشة وحددت قدوم الأشعريين وتاريخ قدومهم من الحبشة إلى المدينة المنورة وهي سنة فتح خيبر.

أما رواية أبي موسى الأشعري الواردة في صحيح مسلم فقد أوردت تأكيدات وتفاصيل لها أهمية معينة: «فعن أبي موسى الأشعري قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال بضعاً وإما قال ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الرابع، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، رقم الحديث ٣٨٧٦، فتح الباري، المجلد السابع، ص ١٨٨.

فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: أن رسول الله ﷺ بعثنا هٰهنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فقسم لهم معهم الحديث»[1].

أوضحت لنا هذه الرواية عدة أمور مهمة وإن كانت في معظمها توافق رواية البخاري التي سبق ذكرها ورواية ابن سعد عن الطبقات الكبرى نذكر منها ما يلي:

أ ـ إن هجرة الأشعريين أساساً كانت إلى النبي ﷺ بعدما سمعوا أن نبي الله ﷺ هاجر إلى المدينة المنورة.

ب ـ إن طريق هجرتهم إلى المدينة المنورة هو الطريق البحري لأنهم ركبوا سفينة.

جـ ـ إن السفينة انحرفت بهم وتغير اتجاهها حتى رست موانىء الحبشة ـ آنذاك لأن الحبشة هو الاسم العام لمنطقة القرن الإفريقي حالياً ـ.

د ـ أن عددهم ثلاثة وخمسون أو اثنان وخمسون.

هـ ـ كما أنها أفادت أن جعفر بن أبي طالب طلب منهم أن يقيموا معهم لأن إقامتهم كانت بأمر رسول الله ﷺ وهذا دليل قاطع على أن الأشعريين لم يكونوا مع المهاجرين من مكة إلى الحبشة.

و ـ كما أنها ذكرت تاريخ القدوم وهو عام فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة، وأوردت تفاصيل أخرى عن غزوة خيبر وطريقة قسمة الغنائم وأنهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، الجزء السابع، ص ١٧٢، باب فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم.
راجع في جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، المجلد الحادي عشر، ص ٦٠٣ ـ ٦٠٤.

أخذوا أسهماً من الغنيمة وهذا شرف اختص به أصحاب السفينة والأشعريون منهم.

أرأيت كيف أن هذه الرواية توافق مع رواية البخاري، وزادت عنها تفصيل بعض الأمور، ولكنها بصفة عامة في اتجاه واحد، والروايتان الواردتان في أصح كتابين بعد كتاب الله عز شأنه قدمتا المعلومات الكافية لإزالة أي لبس يتعلق بموضوع هجرة الأشعريين ولا تتركان أي غموض في هذا الأمر. ولقد ذكر الحافظ ابن كثير عدد الأشعريين الذين قدموا على النبي ﷺ أيام فتح خيبر فقال رحمه الله تعالى:

«وقدم على النبي ﷺ في غزوة خيبر بعد فراغهم من القتال جعفر بن أبي طالب وأصحابه ممن بقي مهاجراً بأرض الحبشة».

وصحبهم أبو موسى الأشعري في جماعة من الأشعريين يزيدون على السبعين، وقدم عليه أبو هريرة وآخرون رضي الله عنهم أجمعين فأعطاهم من الغنائم كما أراد الله عز وجل، وقال لجعفر: «لا أدري بأيهما أسر أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر، ولما قدم عليه قام وقبل بين عينيه»[1].

إن هذه الرواية انفردت من بين ما ذكرناه بزيادة العدد عن ثلاث وخمسين كما تلاحظ وهي قوية السند كما ذكر صاحب مجمع الزوائد.

واستنارة مما سبق فإن الذين ينكرون هجرة أبي موسى وأصحابه إلى الحبشة لا يقصدون عدم وصولهم الحبشة لأنهم لم يقولوا شيئاً واضحاً حول هذا الموضوع، وإنما كما أشرنا إليه سابقاً يفهم من تعابيرهم وكلماتهم أنهم ينكرون حدوث هجرة من هذا النوع من مكة إلى الحبشة.

ولعل القصد الأول الذي هو الاتجاه إلى المدينة المنورة وحدها لا غير ووضع تخطيط يدور حول هذا الاتجاه، وعدم وجود نية الهجرة إلى الحبشة في

---

(١) الفصول في اختيار سيرة الرسول للحافظ ابن كثير، ص ١٦٩، مؤسسة علوم القرآن، دار القلم، بيروت، دمشق، ط. الأولى عام ١٣٩٩ هـ. وذكرها مجمع الزوائد ٢٧٢/٩، رواه الطبري ورجاله رجال الصحيح.

بداية الرحلة هو السبب الذي جعل المؤرخين والكتاب الذين ينكرون هجرة الأشعريين يعتقدون أن ذهابهم إلى الحبشة ليس هجرة وإنما حدث عن طريق الصدفة وهذا أمر مستبعد بعد ثبوت إقرار الرسول ﷺ لهجرتهم، والأشعريون وإن كانت هجرتهم إلى المدينة في مبدأ الأمر ولكن الله قدر شيئاً لم يكن في الحسبان وكان خيراً كثيراً ونعمة قدرها لهم، وهيأ أسبابه فجمع الأشعريين هجرتين في الرحلة المباركة، وهذا فضل كبير فلا تناف بين القصد الأول وما تحقق لهم من أجر عظيم وفضل، ويكفيهم شرفاً قول الحبيب محمد ﷺ: «لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان».

واستقر بهم المطاف!!!

وما أن عاد الذين هاجروا إلى الحبشة في الهجرة الأولى إلى مكة حتى بدأ المشركون حملة محمومة وجهوداً مكثفة لاستئصال شأفة الإسلام، وقطع شجرة الدعوة من الجذور، وقمع المؤمنين مستخدمين كل الوسائل الممكنة والمتاحة لتنفيذ المؤامرة القذرة والأعمال الشيطانية ولكن الله عز وجل أصبغ نعمه على عباده المؤمنين وهيىء لهم أسباب النجاح في هذه المرة أو كل مرة يتعرضون للمخاطر أو يكادون من قبل الطغاة المفسدين الذين لا هم لهم إلا محاربة الخير أي خير ونشر المفاسد والمظالم أياً كانت صورها ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

فالهجرة الثانية إلى الحبشة كانت فرجاً عظيماً لأصحاب محمد ﷺ لأنها أحبطت المكيدة من قبل المشركين، وأفلتت الأمور من أيدي الظالمين، حيث خرجت جموع من المهاجرين تتلوها جموع أخرى، وتتابعت الأفواج أثر الأفواج ترعاهم عين الله التي لا تأخذه سنة ولا نوم وتحفظهم عناية الله عز وجل حتى تكللت رحلتهم بالنجاح الباهر وتحولت المخاوف إلى أمن وأمان وانقلبت الأحزان إلى أفراح ومسرات. وقطعوا مسافة بين الشاطئين الشرقي والغربي للبحر الأحمر حتى وصلوا إلى البر إلى أرض الحبشة بسلام تام، واستقر بهم

(١) سورة الطلاق، الآية ٣.

المقام، ونالوا مبتغاهم في تلك المرحلة، فتحقق لهم ما كانوا يصبون إليه. وما كانوا يحلمون به سابقاً وهو الهدف الذي فارقوا كل مألوف محبوب من ديار وعشائر وأحباب لأجله حتى أصبحوا في أرض الغربة. إن هذا الهدف الذي تحقق في المرحلة الأولى على أقل تقدير هو حرية العبادة، إنها حداؤهم ونشيدهم الذي يتحقق من خلاله الاستمتاع بلذة العبادة، عبادة الله وحده لا شريك له.

بالإضافة إلى ذلك فقد حصلوا على الأمن والطمأنينة والتي تزيد بهجة العبادة، وتلك النعم الكثيرة التي تحققت لهم خففت عنهم مرارة الغربة ومشقة السفر حتى ارتاحت نفوسهم وهنئت وشربت من السعادة كأساً بارداً فلم ينقصهم سوى العيش مع رسول الله ﷺ فعزاؤهم الوحيد في هذا هو أن الرسول ﷺ هو الذي أمرهم بالهجرة إلى الحبشة إنهم أطاعوا رسول الله ﷺ في هذا الأمر فليسوا بنادمين أبداً.

ولقد عبرت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن سعادة المهاجرين وفرحتهم التي غمرت نفوسهم وتحدثت عن موقف النجاشي منهم، ومدى الترحيب الحار الذي نالوه منه، كما ذكرت كيف أنه وفر لهم أسباب العيشة الهانئة والسعادة الفائقة التي كانوا يتمتعون بها في بلاد الحبشة بضيافة ملكها النجاشي، فقالت أم سلمة: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه»[1].

ولقد وصفت أم المؤمنين حالتهم في الحبشة بأنها كانت خالية من المنغصات حتى أرسلت قريش وفدا إلى النجاشي رحمه الله لرد المهاجرين إلى مكة فقالت: «فخرجا ـ عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة ـ حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار»[2]. وتشير أم المؤمنين إلى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، الجزء الأول، ص ٣٦٠، ط. الثانية، وذكر حديث أم سلمة الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٤ ـ ٢٧، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦١.

بداية مرحلة جديدة في أرض الحبشة بسبب الإسلام والتشفي من المؤمنين الذين انتصروا في هجرتهم. ولنا عودة إلى القصة التي تشير إليها أم المؤمنين وفي مباحث غير هذا المبحث يأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى. إن الاستقرار الذي وجده الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لهو شيء رائع عبر كل شخص منهم ما تراءى له، فمنهم من عبر برواية طويلة مفصلة مثل أم سلمة وابن مسعود، ومنهم من أنشد شعراً لتلك المناسبة ولكن الآراء تتفق على أنهم انتقلوا إلى وضع جديد يختلف تماماً عن الوضع السابق.

ومما يدل على وضع المهاجرين في الحبشة وكم أحسوا من سعادة ما قيل في هذه المناسبة من الشعر في أرض الحبشة.

وكان مما قيل في الحبشة إن عبدالله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون في ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به، قال رضي الله عنه:

يا راكباً بلغن عني مغلغة[1] ... من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرىء من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا ووجدنا بلاد الله واسعة ... تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز ... ي في الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطرحوا ... قول النبي وعالوا[2] في الموازين
اجعل عذابك في القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يغلوا[3] فيطغوني[4]

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه:

أبت كبدي لا أكذبنك قتالهم ... عليّ وتأباه عليّ أناملي

---

(١) مغلغة: الرسالة.
(٢) عالوا: خافوا.
(٣) أن يغلو: يعلو.
(٤) الأبيات: في سيرة ابن هشام، وتاريخ الإسلام للذهبي (السيرة)، والسير والمغازي.

وكيف قتالي معشراً أدبوكم[1] على الحق أن لا تأشبوه[2] بباطل
نفتهم عباد الجن[3] من حر أرضهم فأضحوا على أمر شديد البلابل[4]
فإن تكن كانت في عدي أمانة عدي بن سعد عن تقى أو توأصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم بحمد الذي لا يطبى[5] بالجعائل
وبدلت شبلاً شبل كل خبيثة[6] بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل[7]

إن هذه الأبيات القليلة صورت وضع المهاجرين في الأرض الجديدة والأشعار رسالة مفتوحة تخاطب المؤمنين في مكة المكرمة، وتزودهم معلومات مهمة عن الوضع في الحبشة، وكثرة نعم الله عليهم من أمن ورخاء. كما أنه بلغت انتباههم إلى أن الهجرة مخرج مما هم فيه من المحن المتتالية والقهر والظلم الذي يؤرقهم، ثم يحثهم على الخروج من مكة لكي ينالوا حريتهم في أرض الله الواسعة، بدل الإهانة والذل، الأمر الذي يعرض حياتكم للخطر العظيم، كما أن الصحابي الجليل يفتخر بكل اعتزاز بإيمانهم واتباعهم لرسول الله ﷺ، ويشنع الكافرين الذين عاندوا رسول الله ﷺ، فيدعو عليهم بسبب ظلمهم، وفي النهائية يعوذ بالله من شرورهم، وباختصار هذا تعبير صادق يعبر عن الفرحة والسعادة التي حصلوا عليها في أرض الحبشة، ولكنهم لم ينسوا ما يقع على إخوانهم من عسف وظلم يمارسه أعداء الإسلام.

وفي الأبيات الأخرى نجد عزة المؤمن فيها وعدم قبوله بالمواقف المعادية للأسباب نفسها مهما تكن الظروف ولذلك يعاتب قومه ويسفه مواقفهم ضد العصبة المؤمنة.

---

(١) في السير والمغازي «معشر يأدبونهم».
(٢) تأشبوه: تخلطوه.
(٣) في السير «نفيتم عباد الله».
(٤) البلابل: وساوس الأحزان.
(٥) لا يطبي بالجعائل: لا يستمال الرشوة.
(٦) خبيثة: جمع من الناس من قبائل مختلفة.
(٧) الأبيات في سيرة ابن هشام والسير والمغازي.

ولقد قال عبدالله أبياتاً يذكر قريشاً مصير الأمم البائدة مثل عاد ومدين والحجر، ثم يعقد الحزم الأكيد على عدم استسلامه للواقع الحالي، وأنه سيعود إلى مكة حيث الرسول ﷺ يعبد ربه فقال في هذه المناسبة:

وتلك قريش تجحد الله حقه ... كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق[1] فلا يسعنن ... من الأرض برذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محمد ... أبين ما في النفس إذ بلغ النفر[2]

أما عثمان بن مظعون رضي الله عنه فقد وجه رسالة معبرة إلى أمية بن خلف وهو ابن عمه الذي اشتهر بتعذيب المستضعفين وعداوته للإسلام بصفة عامة، وكان أمية بن خلف يعذب ويؤذي عثمان بن مظعون نفسه، فأمية[3] بن خلف من جبابرة المشركين كما هو معلوم.

ومن شعره ما يذكر نفي قريش من بلادهم فيقول:

أتيم ابن عمرو للذي جاء بغضة ... ومن دونه الشرمان والبرك أكتع[4]
أأخرجتني من بطن مكة أمنا ... وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع[5]
ترين نبالاً لا يواتيك ريشها ... ونبري نبالاً ريشها لك أجمع
وحاربت أقواماً كراماً أعزة ... وأهلكت أقواماً بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوماً ملمة ... وأسلمك الأوباش[6] ما كنت تصنع[7]

إن شعور الارتياح والرضى والاعتزاز بالعقيدة أمر ظاهر من الأشعار كما أن مرارة الظلم الذي أصابهم في مكة قبل الهجرة ما زال ماثلاً في أذهانهم،

---

(١) أبرق: برق الرجل أي تهدد وتوعد. راجع القاموس المحيط للفيروزالأبادي.
(٢) النقر: البحث.
(٣) أمية بن خلف. كان يعذب المستضعفين ويتلذذ بأذاهم، ولم يفق عن غيه بل حضر موقعة بدر ومات مشركاً فيها بيد بلال بن أبي رباح وبعض الأنصار، وهكذا وجد جزاء الظالمين، ومصير المستكبرين.
(٤) الشرمان: تثنية شرم وهوجلة البحر، البرك: الإبل الباركة.
(٥) صرح بيضاء: يعني المدينة التي يسكنها المهاجرون في الحبشة، تقذع: تكره.
(٦) الأوباش: الضعفاء.
(٧) وردت هذه الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام، وفي تاريخ الإسلام للذهبي.

ولا تخلوا الأبيات السابقة من دعوة إلى الإسلام بطريقة غير مباشرة لأنه يمدح المؤمنين ويصفهم بما يتمتعون به من كرامة وعزة مردها الإيمان وحده، ونجد بعض الأبيات أنها تذكير قوي لما قام به المشركون ويقومون به حتى ذلك الوقت، وتصور بشاعة الظلم، وقساوة الظالمين في جملة مواقفهم، وهي بعبارة أخرى تهديد ووعيد مبطن وإنذار لما يمكن أن يترتب على أفعالهم السيئة. وأن هذا سيكون وبالاً عليهم في المستقبل وسيعلم الذين ظلموا أي فشل وخزي تكون نتيجتهم النّهائيّة وأنهم يجنون جزاء أعمالهم إن عاجلاً أو آجلاً.

وعلى العموم فإن ما قيل من الشعر في أرض الحبشة هو انعكاس على ما تحقق للمهاجرين. وتعبير صادق عما لقي أصحاب رسول الله ﷺ من ترحيب وحفاوة نادرة من قبل ملك الحبشة، وبالطبع هم سعداء لأنهم خرجوا من نفوذ المشركين وتخلصوا من قهرهم وجبروتهم واستظلوا بظل الحرية الوارف الذي تصونه عدالة النجاشي التي لا ميل فيها ولا اعوجاج وزينته حكمته وحنكته وسرعة بداهته.

ومما يزيد حلاوة طعم الحرية الجديدة في أجواء الحبشة، ويضاعف سرورهم هو: أن المشركين لم يكن بوسعهم التأثير على ملك الحبشة مباشرة أو غير مباشرة، كما أنهم لا يملكون قوة عسكرية أو اقتصادية تجعل ملك الحبشة يخضع لرغبة المشركين وأطماعهم، ولا يوجد لدى المشركين أي وسيلة فاعلة تغري ملك الحبشة ليلبي مطالبهم وينفذ إرادتهم رغبة أو رهبة.

ولقد أحس المهاجرون قوة النجاشي وعدالته، ورجاحة عقله طيلة فترة إقامتهم وهي فترة طويلة مرت عليهم تجارب مختلفة، وحدثت أحداث خطيرة هزت كرسي النجاشي في بعض المراحل وأغضت مضاجع المهاجرين في بعضها الأخرى ولا شك أنها كافية لمعرفة النجاشي، فالصحابة عاشوا عنده منذ السنة الخامسة من البعثة النبوية وحتى السنة السابعة من الهجرة[1].

---

(١) لم يمكث كل المهاجرين في الحبشة خلال المدة المذكورة، وإنما ظل وجود بعضهم حتى السنة السابعة للهجرة النبوية، وسيأتي تفصيل عن كيفية عودتهم من الحبشة بإذن الله تعالى.

موقف المشركين من الهجرة الثانية:

توالت أخبار المهاجرين إلى أرض الحبشة على أهل مكة، وتتابعت حتى علم الجميع وخبر، واتضحت الحقائق أمام المشركين مدوية غير خافية، وكل تلك المعلومات كانت تؤكد شيئاً واحداً بعينه، لا تناقض بين فقراتها ولا تباين في محتواها، فكل الأخبار الواردة من الحبشة إلى مكة تفيد بأن النجاشي قد استقبل المهاجرين استقبالاً رسمياً وهم في ضيافته، وإنهم يتمتعون بالأمن والاستقرار وعيش رغيد، وهم يعبدون الله حق عبادته لا يشركون به شيئاً ولا يخافون من أحد أبداً، معلنين التوحيد على أرض الحبشة.

أما الذي تكفل بنقل الأخبار فهي السفن التجارية المبحرة من السواحل الغربية إلى السواحل الشرقية علماً بأن العلاقة التجارية بين الحبشة والجزيرة العربية كانت ممتازة في تلك الفترة، فالسفن كانت تنقل البضائع من الجانبين، وتلك الوسيلة كانت كافية بنقل الأخبار من طرف إلى آخر عبر البحر الأحمر بين الجزيرة والحبشة بالسرعة المطلوبة.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الإشاعة التي انطلقت من مكة إلى الحبشة بإسلام قريش هي السبب الأساسي لعودة المهاجرين إلى مكة.

ومن خلال الشعر رأيت أن الصحابة رضي الله عنهم يوجهون الرسائل المفتوحة إلى المشركين. وإلى المسلمين المقهورين على حد سواء. وهذا يدل على الاتصالات المستمرة بين الطرفين مهما بعدت المسافة ونأت الديار.

ومما لا شك فيه أن تلك الأخبار الواردة من الحبشة قد أزعجت المشركين، وأصابت منهم المقتل، فأصبحوا مذعورين مضطربين. وكأنهم أصيبوا بنوع من الجنون، ولقد أجروا المشاورات السريعة واجتمعوا كعادتهم لضرب الإسلام، وبدأوا يقلبون الأمر على وجوهه ويدرسون الوضع بعناية بالغة علهم يعثرون على حيلة تمكنهم من ضرب الإسلام والمسلمين في بلاد الحبشة، ولا شك أن هذا حلم جميل، ولو تحققت لقريش أحلام كهذه في أرض الحبشة سيقوى عودها ويصبح لها سيادة قوية في الجزيرة العربية ونفوذ قوى خارج الجزيرة العربية، والمشركون يعرفون الخطر الذي يمكن أن ينجم

من الهجرة، لأنه نصر للمسلمين خارج مكة، ويعني ذلك في نظر المشركين تهديداً مباشراً لمعتقداتهم الباطلة، وقبل ذلك وبعده هي ضربة موجهة ضد سيادتهم في مكة كما أنها خسارة كبرى لقريش من حيث العلاقات الممتازة التي كانت بينها وبين ملك الحبشة.

ولعل هاجس الخوف يراود قريشاً حيث من الممكن جداً أن تكون الهجرة بداية مرحلة جديدة وجد خطيرة، مرحلة تستطيع الدعوة تأسيس أقدام راسخة وقواعد ثابتة في تلك الأرض، تغير ميزان القوى في المنطقة، لأن تعاون الحبشة القوية والتي لها مركز دولي مهم آنذاك مع المهاجرين الذين يحملون عقيدة صافية وروحاً جهادية لا تهاب من أحد يعني ظهور قوة خطيرة ضد قريش وسمعتها وأمنها، فلماذا لا تحاول قريش إفشال الخطة المحتملة قبل أن تستفحل وتصبح حقيقة وواقعاً يصعب مواجهته في نهاية الأمر؟